﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾

الأخلاق النبويـة

والصفات المحمدية

تأليـــف

طه عبد الرءوف سعد
من علماء الأزهر الشريف

سعد حسن محمـــد
المدرس بالأزهر الشريف

النــاشـــر

مكتبة العلم الإسلامية

٤ عطفة النشيلى من شارع سيد الدواخلى
أمام جامعة الأزهر - الحسين
ت: ٧٨٦٣٢٨٠ - ٠١٢/٤٧٧٢٩٨٢

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

رقم الإيداع :
٤٢٩٦ / ٢٠٠٦
الترقيم الدولى :
I.S.B.N. 977-5442-80-X

الكمبيوتر - أ/ هانى عادل حنفى
موبايل : ٠١٠٥٨٩٤٥١٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين شرع لنا من دينه الحنيف ما يصلح لنا به دنيانا وآخرتنا، أنزل كتابه المجيد به الحث على مكارم الأخلاق الإنسانية وتنزيهها عن كل سيء وقبيح، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبى الرحمة الذى أدبه ربه فأحسن تأديبه مخاطبا إياه ﷺ ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ .

أما بعد ...

فهذا كتاب جليل القدر عظيم النفع يجعل سيد المرسلين لنا قدوة حسنة نتخلق بآدابه ونتبع أخلاقه .

ولقد سئلت السيدة عائشة عن خُلق رسول الله ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن فيا حظ من كان أشرف الكتب المنزلة من عند رب الناس له خُلقا.

القارئ الكريم: اقرأ هذا الكتاب واحتفظ به وأقرئه أبناءك ومن تحب وانصح غيرك باقتنائه وحفظه والعمل بما فيه يعطك الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة.

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل

وصلى الله على أنبياء الله ورسله
والحمد لله رب العالمين

(المؤلفان)

تأديب الله تعالى لنبيه ﷺ

– يقول ابن عبد ربه: في كتابه العقد الفريد أدب الله نبيه بأحسن الآداب كلها، فقال له: ﴿ **وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا** ﴾ [الإسراء: ٢٩] فنهاه عن التقتير كما نهاه عن التبذير وأمره بتوسط الحالين ﷺ.

كما قال – عز وجل –: ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا** ﴾ [الفرقان: ٦٧].

– وقد جمع الله –تعالى– لنبيه ﷺ

جوامع الكلم فى كتابه المحكم، ونظم له مكارم الأخلاق فى ثلاث كلمات، فقال: ﴿ **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** ﴾ [الأعراف: ١٩٩]. ففى أخذه العرف صلة من قطعه، والصفح عمن ظلمه، وفى الأمر بالمعروف تقوى الله، وغض الطرف عن المحارم، وصون اللسان عن الكذب، وفى الإعراض عن الجاهلين تنزيه النفس عن مماراة السفيه ومنازعة اللجوج [المتمادى فى الطغيان]، ثم أمره تبارك وتعالى فيما أدبه باللين فى المعاملة، والرفق بأمته فقال: ﴿ **وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الشعراء: ٢١٥].

– وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾

[آل عمران: ١٥٩].

– وقال – تعالى –: ﴿ وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥].

– فلما وعى عن الله – عز وجل – وكملت فيه هذه الآداب، قال الله – تعالى–: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ

رَءُوفٌ رَّحِيمٌ * فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ [التوبة: ١٢٨، ١٢٩].

* * *

أخلاق رسول الله ﷺ

عن أخلاق رسول الله ﷺ الطاهرة يقول ابن كثير: كان أشجع الناس، وأشجع ما يكون عند شدة الحروب، وكان أكرم الناس، وأكرم ما يكون فى رمضان، وكان أعلم الخلق بالله، وأفصح الخلق نطقاً، وأنصح الخلق للخلق، وأحلم الناس، وكان ﷺ أشد الناس تواضعا فى وقار. ﷺ إلى يوم الدين.

- قالت قَيْلَةُ بنت مَخْرَمَة فى حديثها عند أبى داود: فلما رأت رسول الله ﷺ كالمتخشع فى جلسته أُرعدت من الفَرَقَ [الخوف].

* * *

كان ﷺ خلقه القرآن

- يقول المولى التميمى: سُئلت عائشة - رضى الله عنها -، عنه ﷺ، فقالت: كان خلقه القرآن، يغضب لغضبه، ويرضى لرضاه، ولا ينتقم لنفسه، ولا يغضب لها، إلا أن تُنتهك حرمات الله فيغضب لله، وإذا غضب لم يقم لغضبه أحد ﷺ.

من حسن خلق رسول الله ﷺ

– قال الله – تعالى –: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [القلم: ٤].

– وقال ﷺ: «أدبني ربي فأحسن تأديبي».

– وقال الشاعر:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

– وبفضل أخلاق وخُلُق رسول الله ﷺ بقيت الأمة الإسلامية على مر السنين تواجه كل الأعداء وتنتصر عليهم بالحجة والبرهان، وقد اعترف بأخلاقه ﷺ كل

الذين عرفوه سواء كانوا فى عصره أم قرءوا سيرته العطرة، وسواء كانوا على الدين الإسلامى، أم على غير ملة الإسلام، والفضل ما شهدت به الأعداء.

وها نحن نقدم نبذة من خلق رسول الله ﷺ، وإن كانت لم توفه حقه ﷺ ولكن حسبنا قطرة من بحر فضله وزهرة من بساتين عظمة خُلُقه ﷺ .

* * *

كرمه وجوده ﷺ

ما سأل شيئا فقال لا :

– عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: ما سئل رسول الله ﷺ شيئا

قط فقال : لا [مسلم]

كان ﷺ أجود ما يكون في رمضان :

– عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان حتى ينسلخ [ينتهي]، فيأتيه جبريل فيعرض عليه القرآن، فإذا لقيه جبريل كان رسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة . [البخاري – مسلم]

أنفق ولا تخش من ذي العرش إقلالا :

– عن عمر بن الخطاب : أن رجلا

جـاء إلى رسـول الله ﷺ فـسـأله أن يعطيَه. فقـال النبى ﷺ: «ما عندى شىء، ولكن ابتع علىَّ فإذا جاءنى شىء قضيته» فقال عمر: يا رسول الله قد أعطيته، فما كلفك الله ما لا تقدر عليه، فكره النبى ﷺ قول عمر، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أنفق ولا تخف من ذى العرش إقلالا، فتبسم رسول الله ﷺ، وعرف فى وجهه البشر لقول الأنصارى، ثم قال: «بهذا أمرت» ﷺ [أبو داود - الدارمى].

يقبل الهدية ويكافئ بأفضل منها:

- عن الرُّبَيِّع بنت معوذ بن عفراء

قــالت: أتيت النبى ﷺ بقناع من رطب، فأعطانى ملء كفه حليا وذهبا. ﷺ.

[الترمذى – أحمد]

لم يُسأل ﷺ شيئا على الإسلام إلا أعطاه:

– عن أنس: أن رسول الله ﷺ لم يكن يُسأل شيئا على الإسلام إلا أعطاه. قال: فأتاه رجل فسأله، فأمر له بشاء [غنم] كثير بين جبلين من شاء الصدقة، قال: فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا فإن محمدا يعطى عطاء من لا يخشى الفاقة. [مسلم – أحمد].

* * *

تواضعه ﷺ

من تواضعه حبه أن يدعى بعبد الله:

– عن عمير – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، إنما أنا عبد الله، فقولوا: عبد الله ورسوله»
[البخارى – مسلم – أحمد]

من تواضعه عيادة المرضى:

– عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ يعود المريض ويشهد الجنائز، ويركب الحمار، ويجيب دعوة

العبد، وكان يوم بنى قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه إكاف [ما يوضع على ظهـــر الدابة] من ليف.
[البخارى - مسلم]

من تواضعه ﷺ أكله الرخيص من الطعام:

- عن أنس بن مـــالك قـــال: كـــان النبى ﷺ يدعى إلى خـبـز الشـعـيـر والإهالة السنخـة [الدهون المتـغـيـرة الطعم] فيجيب، ولقد كانت له درع عند يهودى فما وجد ما يفكها حتى مات. [البخارى - أحمد - الترمذى]

من تواضعه حجه على رحل رث:

- عن أنس بن مـــالك قـــال: حج

رسول الله ﷺ على رحل رث [ما يوضع على ظهر البعير]، وعليه قطفة لا تساوى أربعة دراهم، فقال: « اللهم اجعله حجًا لا رياء فيه ولا سمعة »
[البخارى]

من تواضعه ﷺ خدمة نفسه :

- عن عمرة قالت : قيل لعائشة : ماذا كان يعمل رسول الله ﷺ فى بيته، قالت : كان بشرا من البشر، يفلى ثوبه(١)، ويحلب شاته، ويخدم نفسه ﷺ . [أحمد]

* * *

حياؤه ﷺ

---

(١) أى إذا كان به قشة ونحوها .

كان ﷺ شديد الحياء:

– عن أبى سعيد الخدرى قال: كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء فى خدرها، وكان إذا كره شيئا عرفناه فى وجهه. [البخارى – مسلم].

لا يواجه أحدا بشيء يكرهه:

– عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه كان عنده – عليه الصلاة والسلام – رجل به أثر صفرة [صبغة] قال: – وكان رسول الله ﷺ لا يكاد يواجه أحدا بشيء يكرهه – فلما قام قال للقوم: «لو قلتم له يدع هذه الصفرة» [أحمد].

* * *

شفقته ﷺ

– قال – تعالى –: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾

[التوبة: ١٢٨]

* * *

شفقته ﷺ على الأطفال وأمهاتهم

– عن أنس أن نبى الله ﷺ قال: «ألا إنى أدخل الصلاة وأنا أريد أن أطيلها فأسمع بكاء الصبى فأتجوز فى صلاتى مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه»

[البخارى – مسلم]

حلمه وصفحه ﷺ

التجاوز عمن أساء إليه ﷺ :

– عن أنس بن مالك قال : كنت أمشى مع رسول الله ﷺ ، وعليه بُرد نجرانى غليظة الحاشية، فأدركه أعرابى، فجبذه بردائه جبذة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عنق رسول الله ﷺ قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته، ثم قال : يا محمد مر لى من مال الله الذى عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ ثم ضحك، ثم أمر له بعطاء.

[البخارى – مسلم]

الدعاء لأعدائه ﷺ بالهداية :

– عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : جاء الطُّفَيْل بن عمرو الدَّوْسى إلى النبى ﷺ فقال : إن دوسا قد عصت وأبت، فادع الله عليهم، فاستقبل القبلة رسول الله ﷺ ورفع يديه فقال : « اللهم اهد دوسا وائت بهم، اللهم اهد دوسا وائت بهم، اللهم اهد دوسا وائت بهم »
[البخارى – مسلم]

إكرام الآباء من أجل الأبناء :

– عن عبد الله بن عمر : أن عبد الله ابن أُبَىٍّ [رأس المنافقين] لما توفى جاء ابنه إلى النبى ﷺ فقال : أعطنى

قـمـيـصك أكـفـنه فـيـه، وصل عليـه واستـغفر له، فأعطاه قـميصـه، وقال: «آذنى أصلى عليه» فآذنه، فلما أراد أن يصلى جـذبه عـمـر، فـقـال: أليس الله نهـاك أن تصـلى علـى المنافـقـين؟ فـقـال ﷺ: «أنا بين خـيـرتين» قـال ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ [التوبة: ٨٠] فـصلى عليـه، فنزلت هـذه الآية: ﴿ وَلا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴾ [التوبة: ٨٤] [البخارى - مسلم].

لم يضرب ﷺ أحدا إلا فى سبيل الله - تعالى -:

- عن عـائشـة قـالت: مـا ضرب

رسول الله ﷺ خادما له قط، ولا امرأة له قط، وما ضرب بيده إلا أن يجاهد فى سبيل الله، وما نيل منه شىء فانتقم من صاحبه إلا أن تنتهك محارم الله، فينتقم لله - عز وجل -، وما عرض عليه أمران أحدهما أيسر من الآخر إلا أخذ بأيسرهما، إلا أن يكون مأثما، فإن كان مأثما، كان أبعد الناس عنه.

[البخارى - مسلم]

* * *

عفوه ﷺ

عفوه عن ثقيف:

- عن عروة أن السيدة عائشة

– رضى الله عنها – قالت للنبى ﷺ : هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟ قال ﷺ : «لقد لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد ما لقيت يوم العقبة إذا عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن كلال فلم يجبنى، فانطلقت وأنا مهموم، فرفعت رأسى فإذا سحابة قد أظلتنى فنظرت فإذا فيها جبريل فنادانى فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت، فنادانى ملك الجبال فسلم على ثم قال: يا محمد لك ذلك فما شئت، إن شئت أطبق عليهم: الأخشبين» [جبلين]

فقال ﷺ: «بل أرجو الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله – عز وجل – ولا يشرك به شيئا» [البخاري].

عفوه عن مشركي مكة:

– عندما فتح الله عليه ﷺ ونصره على كفار مكة ودخلها منتصرا فاتحا ورآه كفار قريش ومعه المسلمون وكانوا أكثر من العشرة آلاف مسلم، ووقف الكفار أمامه أذلة فقال لهم ﷺ: «ما تظنون أنى فاعل بكم» قالوا: خيرا أخ كريم وابن أخ كريم، قالوها استعطافا له، فإذا بالعفو والرحمة تتجلى من فمه

الشريف ويصدر عفوه العام عنهم قائلا : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

فاعترفوا بدعوته وآمنوا به وهداهم الله، وذلك بفضل عفوه ﷺ .

* * *

شجاعته ﷺ

كان ﷺ أشجع الناس :

– عن أنس قال : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس، وأشجع الناس وأجود الناس، كان فزع بالمدينة، فخرج الناس قِبَل [ناحية] الصوت، فاستقبلهم رسول الله ﷺ قد سبقهم، فاستبرأ الفزع على فرس لأبي طلحة عرى ما عليه سرج، في عنقه السيف، فقال :

«لم تراعوا» [لا تخافوا] وقال للفرس: «وجدناه بحرا أو إنه لبحر»

[البخارى – مسلم]

شجاعته ﷺ يوم غزوة حنين:

– عن أبى إسحاق قال: سألت البراء وسأله رجل فقال: فررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين؟ فقال البراء: ولكن رسول الله ﷺ لم يفر، كانت هوازن ناسا رماة، وإنا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكببنا على الغنائم، فاستقبلونا بالسهام، ولقد رأيت رسول الله ﷺ على بغلته البيضاء، وإن أبا سفيان بن الحارث (ابن عمه) آخذ

بلجامها وهو يقول: «أنا النبى لا كذب ... أنا ابن عبد المطلب»

[البخارى - مسلم]

* * *

مزاحه ومداعبته ﷺ

يداعب أصحابه ولا يقول إلا حقا:

- عن أبى هريرة قال: قالوا يا رسول الله إنك تداعبنا، قال «إنى لا أقول إلا حقا» [الترمذى - أحمد].

مزاحه ﷺ على سبيل الندور:

- وكان مزاح رسول الله ﷺ على سبيل الندور [أقل من القليل]، ويكون لمصلحة عامة، من نحو المؤانسة وتأليف

القلوب، وذلك لما كان عليه أصحابه من تهيب الإقدام عليه، لما عليه من الوقار والمهابة، فكان يمازحهم تخفيفا لهم.

– عن أنس بن مالك قال: إن النبى ﷺ قال له: «يا ذا الأذنين».

[الترمذى – أحمد]

حتى الأطفال يمازحهم:

– عن أنس – رضى الله عنه – قال: إن كان النبى ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخ لى صغير: «يا عُمَيْر ما فعل النُّغَيْر» النغير طائر يشبه العصفور كان لطفل يدعى عمير ثم مات الطائر.

[البخارى – مسلم]

إني حاملك على ولد الناقة :-

عن أنس بن مالك : أن رجلا استحمل رسول الله ﷺ فقال : « إني حاملك على ولد ناقة » فقال : يا رسول الله، ما أصنع بولد الناقة؟ فقال رسول الله ﷺ : « وهل تلد الإبل إلا النوق؟ » [أبو داود]

من يشترى العبد :

– عن أنس بن مالك : أن رجلا من أهل البادية، كان اسمه زاهرا، وكان يهدى إلى النبى ﷺ هدية من البادية فيجهزه النبى ﷺ إذا أراد أن يخرج فقال النبى ﷺ : « إن زاهرا باديتنا، ونحن حاضروه » وكان رسول الله ﷺ

يحبه، وكان رجلا دميما، فأتاه النبى ﷺ يوما وهو يبيع متاعه واحتضنه من خلفه وهو لا يبصر، فقال: من هذا؟ أرسلني، فالتفت فعرف النبى ﷺ فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر النبى ﷺ حين عرفه، فجعل النبى ﷺ يقول: «من يشترى العبد؟» فقال: يا رسول الله، إذن والله تجدنى كاسدا [لا يرغب أحد فى شرائي] فقال رسول الله ﷺ: «لكن عند الله لست بكاسد - أو قال: - أنت عند الله غال» [الإمام أحمد].

إن الجنة لا تدخلها عجوز:

- عن الحسن قال: أتت عجوز إلى

النبى ﷺ فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يدخلنى الجنة، فقال: «يا أم فلان، إن الجنة لا تدخلها عجوز» قال: فولت تبكى، فقال: «أخبروها أنها لا تدخلها وهى عجوز، إن الله – تعالى – يقول: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾ [الواقعة: ٣٥ – ٣٦]

هذه بتلك:

– عن عائشة – رضى الله عنها – قالت: خرجت مع النبى ﷺ فى بعض أسفاره، وأنا جارية [صغيرة السن] لم أحمل اللحم ولم أبدن، فقال للناس: «تقدموا» ثم قال لى: «تعالى حتى

أسابقك » فسابقته فسبقته، فسكت عنى حتى إذا حملت اللحم وبدنت نسيت، خرجت معه فى بعض أسفاره، فقال للناس: « تقدموا » فتقدموا، ثم قال لى: « تعالى حتى أسابقك » فسابقته فسبقنى فجعل يضحك ويقول: « هذه بتلك » ﷺ .

[الإمام أحمد]

* * *

تبسطه ﷺ مع أصحابه

– عن خارجة بن زيد بن ثابت قال: دخل نفر على زيد بن ثابت فقالوا له: حدثنا أحاديث رسول الله ﷺ فقال: ماذا أحدثكم؟ كنت جاره، فكان إذا

نزل عليه الوحى بعث إِلىَّ فكتبته له، فكنا إذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا، وإذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا، وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا، فكل هذا أحدثكم عن النبى ﷺ .

* * *

من خلقه ﷺ حسن معاملته للخدم

– عن أنس بن مالك قال خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لى: أف قط، وما قال لشىء صنعته لِمَ صنعته ولا لشىء تركته لم تركته، وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقا، ولامسست خزا ولا حريرا ولا

شيئا ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكا قط ولا عطرا كان أطيب من عرق رسول الله ﷺ .

[البخارى – أبو داود – الترمذى]

* * *

مداراته ﷺ الناس

– عن عائشة – رضى الله عنها – قالت : استأذن رجل على رسول الله ﷺ وأنا عنده، فقال ﷺ : « بئس ابن العشيرة أو أخو العشيرة » ثم أذن له، فألان له القول، فلما خرج قلت : يا رسول الله قلت ما قلت، ثم ألنت له القول، فقال : « يا عائشة، إن شر الناس

من تركه الناس – أو ودعه الناس – اتقاء فحشه» ﷺ . [ربما يكون هذا الرجل من المنافقين]

* * *

عيشه ﷺ

أشبع يوما فأشكر وأجوع يوما فأصبر :

– لم تكن عيشة رسول الله ﷺ مثل عيشة ملوك الفرس والروم الذين كانوا فى ذلك الوقت، وإنما كانت عيشة متواضعة، إذا وجد طعاما أكل، وإذا لم يجد قال : إنى صائم، وكان يأتدم بالخل [أى يجعله غموسا] ويقول : «نعم الإدام الخل» فى حين لو طلب من الله أن

يملأ عليه الأرض ذهبا لفعل، ولكن كان يقول: «أشبع يوما فأحمد الله على نعمته، وأجوع يوما فأتضرع إلى الله وأدعوه أن يرزقني». هكذا كان عيش رسول الله ﷺ.

لم يملأ بطنه ﷺ حتى من ردىء التمر:

– عن سماك بن حرب قال: سمعت النعمان بن بشير يقول: ألستم في طعام وشراب ما شئتم؟ لقد رأيت نبيكم ﷺ وما يجد من الدقل [أردأ أنواع التمر] ما يملأ بطنه. [مسلم].

قد يمر الشهر ولا يطبخ فى بيته ﷺ طعام:

– عن عائشة قالت: كنا آل محمد نمكث شهرا ما نستوقد بنار، إن هو إلا التمر والماء. [البخارى – مسلم].

كان لأصحابه ﷺ به الأسوة:

– عن أنس عن أبى طلحة قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ الجوع، ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر، فرفع رسول الله ﷺ عن بطنه حجرين. [الترمذى]

تقلله ﷺ من الطعام:

– عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ :

«لقد أخفت فى الله وما يخاف أحد، ولقد أوذيت فى الله وما يؤذى أحد، ولقد أتت علىَّ ثلاثون من بين يوم وليلة مالى ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شىء يواريه إبط بلال».

[الترمذى - ابن ماجه]

لم يشبع ﷺ وأهله من خبز الشعير:

- عن نوفل بن إياس الهذلى قال: كان عبد الرحمن بن عوف لنا جليسا، وكان نعم الجليس، وإنه انقلب بنا ذات يوم، حتى إذا دخلنا بيته ودخل فاغتسل ثم خرج، وأتينا بصحفة فيها

خـبـز ولحم، فلمـا وُضـعت بكى عبدالرحمن، فقلت له : يا أبا محمد ما يبكيك؟ قال : مات رسول الله ﷺ ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير، فلا أُرانا أُخرنا لما هو خير لنا.

[الترمذى - ابن ماجه]

لم يأكل ﷺ الخبز المصنوع من الدقيق المنخول :

- عن أبى حازم قال : سألت سهل ابن سعد فقلت له : هل أكل رسول الله ﷺ النقى؟ [الدقيق الخالص] قال سهل : ما رأى رسول الله النقى من حين ابتعثه الله حتى قبضه الله، قال :

فقلت: كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول؟ قال: كنا نطحنه، وننفخه فيطير ما طار فما بقى ثريناه فأكلناه.

[البخارى - الترمذى - أحمد]

مبيته ﷺ طاويا:

- عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يبيت الليالى المتتابعة طاويا، [جائعا] وأهله لا يجدون عشاء، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير.

[أحمد - الترمذى - ابن ماجه]

أيام متتابعات لم يأكل فيها رسول الله ﷺ:

- عن أنس بن مالك: أن فاطمة

- رضى الله عنها - جاءت بكسرة خبز إلى النبى ﷺ فقال: «ما هذه الكسرة يا فاطمة؟» قالت: قرص خبزته، فلم تطب نفسى حتى أتيتك بهذه الكسرة، فقال: «أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام» [أحمد].

* * *

زهده ﷺ

- قال - تعالى -: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١].

– قـال رسـول الله ﷺ: «ازهـد فى الدنيـا يحـبك الله، وازهـد فيـمـا عند الناس يحبك الناس».

– قال ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العرض [المتاع وكل شىء سوى النقود] إنما الغنى غنى النفس»

[البخارى – مسلم]

– قـال رسـول الله ﷺ: «لو كـانت الدنيـا تعـدل عند الله جناح بعـوضـة مـا سقى كافرا منها شربة ماء» [الترمذى].

– وكان ﷺ يدعو ربه بهذا الدعاء المحبب إليـه: «اللهم أحـينى مـسكينا وأمـتنى مـسكينا، واحشرنى فى زمـرة المسـاكين». وقـال ﷺ: «طوبى لمن

هدى للإسلام وكان عيشه كفافا» [يكفيه بلا زيادة] [مسلم].

- عن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - قال: قام رسول الله ﷺ على حصير قد أثر فى جنبه، فقلت: يا رسول الله ألا آذنتنا فنبسط تحتك ألين منه، فقال الرسول: «مالى وللدنيا وإنما مثلى ومثل الدنيا كراكب سار فى يوم صائف فقال تحت شجرة فى وقت الظهيرة [أى استراح واستظل وقت القيلولة] ثم راح وتركها».

- وقال ﷺ: «إن العبد إن كان همه الآخرة كف الله عليه ضيعته، وجعل

غناه فى قلبه، وإن كان همه الدنيا أفشى الله عليه ضيعته [أى فرق حاله] وجعل فقره بين عينيه فلا يمسى إلا فقيرا ولا يصبح إلا فقيرا ».

– وقال ﷺ : « من كان همه الآخرة جمع الله له شمله، وجعل غناه فى قلبه، وأتته الدنيا وهى راغمة، ومن كان همه الدنيا فرق الله عليه ضيعته، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب الله له ».

– ويقول ﷺ : « ما الدنيا فى الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه فى اليم [البحر] فلينظر بم يرجع »[مسلم]

فراشه ﷺ

- كان فراش رسول الله ﷺ يدل على زهده في الدنيا.

- عن عائشة قالت: إنما كان فراش رسول الله ﷺ الذي ينام عليه من أدم، [جلد مدبوغ] حشوه ليف.

[البخارى - أبو داود]

- وسُئلت عائشة -رضى الله عنها-: ما كان فراش رسول الله ﷺ فى بيتك؟ قالت: من أدم حشوه ليف، وسُئلت حفصة: ما كان فراش رسول الله ﷺ فى بيتك؟ قالت: مسحا، نثنيه ثنيتين، فينام عليه، فلما كان ذات ليلة، قلت: لو ثنيته أربع ثنيات لكان أوطأ له،

فثنيناه أربع ثنيات، فلما أصبح قال: ما فرشتمونى الليلة؟ قالت: قلنا: هو فراشك، إلا أنا ثنيناه بأربع ثنيات، قلنا: هو أوطأ لك، قال: ردوه لحالته الأولى، فإنه منعتنى وطأته صلاتى الليلة [نام أكثر مما كان]

[البخارى - مسلم]

* * *

كلامه ومنطقه ﷺ

- كان ﷺ حين يتكلم يفصل الكلام، ويخرج الحروف من مخارجها الصحيحة، وكان لا يسرد الكلام سردا، [لا يسرع فى كلامه] ثم إنه كان يعيده أكثر من مرة ليفهم عنه ﷺ

وكان يتحدث بجوامع الكلم، ولا يتكلم في غير حاجة، ويبدأ كلامه ويختمه باسم الله.

– عن عائشة قالت: ما كان رسول الله ﷺ يسرد سردكم هذا، ولكنه كان يتكلم بكلام بيِّن فصْل، يحفظه من جلس إليه.

[البخاري – مسلم]

– عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يعيد الكلمة ثلاثا لتعقل عنه.

[الترمذي]

– عن الحسن بن علي قال: سألت خالي هند بن أبي هالة [ابن خديجة رضي الله عنها من زوج سابق]، وكان

وصافا، قلت: صف لى منطق رسول الله ﷺ، قال: كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان، دائم الفكرة، ليست له راحة، طويل السكوت، لا يتكلم فى غير حاجة، يفتح الكلام ويختمه باسم الله، ويتكلم بجوامع الكلم، كلامه فصل، لا فضول ولا تقصير، ليس بالجافى ولا بالمهين، يعظم النعمة وإن دقت، لا يذم منها شيئا، غير أنه لم يكن ذواقا [لا يذم الطعام]، ولا تغضبه الدنيا، ولا ما كان لها، فإذا تُعدِّىَ الحق لم يقم لغضبه شىء حتى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه، ولا ينتصر لها، إذا أشار أشار

بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا تحدث اتصل بها، وضرب براحته اليمنى بطن إبهام اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض بصره، جل ضحكه التبسم، يفتر عن مثل حب الغمام [تظهر أسنانه نظيفة بيضاء ﷺ] [الترمذى] .

* * *

ضحكه ﷺ

– كان رسول الله ﷺ لا يضحك كثيرا، وكان ضحكه تبسما دون قهقهة، ولكنه ﷺ كان بشوش الوجه، لا يعبس فى وجه أحد .

– عن عبد الله بن الحارث بن جَزْء قال: ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله ﷺ [الترمذى – أحمد].

– عن جرير بن عبد الله قال: ما حجبنى رسول الله ﷺ منذ أسلمت، ولا رآنى إلا ضحك.

* * *

بكاؤه ﷺ

– كان رسول الله ﷺ يبكى من خشية الله – تعالى – وكان أيضا من سبب بكائه ﷺ شفقته على أمته، وقد كان بكاء النبى ﷺ من جنس ضحكه، بلا شهيق ولا رفع صوت.

- عن مطرف وهو ابن عبد الله بن الشِّخِّير عن أبيه قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلى ولجوفه أزيز كأزيز المرجل [القدر على النار] من البكاء.

- عن عبد الله بن مسعود قال: قال لى رسول الله ﷺ: «اقرأ علىَّ» فقلت: يا رسول الله، أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «إنى أحب أن أسمعه من غيرى». فقرأت سورة النساء حتى بلغت ﴿ **وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا** ﴾. قال: فرأيت عينى النبى ﷺ تهملان [بالدموع].

[الترمذى - أبو داود]

– عن عائشة – رضى الله عنها – أن رسول الله ﷺ قبَّل عثمان بن مظعون وهو ميت، وهو يبكى، أو قال: وعيناه تهرقان.

[الترمذى – أحمد – ابن ماجه]

– عن أنس بن مالك قال: شهدنا ابنة لرسول الله ﷺ، ورسول الله جالس على القبر، فرأيت عينيه تدمعان، فقال: «أفيكم رجل لم يقارف الليلة؟» [لم يأت زوجته] قال أبو طلحة: أنا، قال: «انزل» فنزل فى قبرها.

[البخارى – أحمد]

– عن عبد الله بن عمرو قال:

انكسفت الشمس يوما على عهد رسول الله ﷺ، فقام رسول الله ﷺ يصلي حتى لم يكد يركع، ثم ركع فلم يكد يرفع رأسه، ثم رفع رأسه فلم يكد يسجد، ثم سجد فلم يكد أن يرفع رأسه، ثم رفع رأسه فلم يكد أن يسجد، ثم سجد فلم يكد أن يرفع رأسه فجعل ينفخ ويبكي ويقول: «رب ألم تعدني ألا تعذبهم وأنا فيهم، رب ألم تعدني ألا تعذبهم وهم يستغفرون، ونحن نستغفرك». فلما صلى انجلت الشمس، فقام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن الشمس والقمر آيتان من

آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد ولا حياته، فإن انكسفا فافزعوا إلى ذكر الله تعالى» [البخارى – مسلم – أبو داود]

* * *

دخوله منزله ﷺ

– قال الحسين: سألت أبى عن دخول رسول الله ﷺ، فقال: كان إذا أوى إلى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء، جزء لله، وجزء لأهله، وجزء لنفسه، ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس، فرد بالخاصة على العامة، ولا يدخر عنهم شيئا، وكان من سيرته فى جزء الأمة إيثار أهل الفضل بإذنه وقسمهم على قدر فضلهم

فى الدين، فمنهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم، ويشغلهم فيما يصلحهم والأمة فى مسألتهم عنه، وإخبارهم بالذى ينبغى لهم، ويقول: ليبلغ الشاهد منكم الغائب، وأبلغونى حاجة من لا يستطيع إبلاغها، لا يذكر عنده إلا بذلك، ولا يقبل من أحد غيره، يدخلون روادا، ولا يفترقون إلا عن ذواق، ويخرجون أدلة على الخير.

* * *

مخرجه ﷺ

– قال الحسين: فسألته (أى أبيه) عن مخرجه، كيف كان يصنع فيه؟

قال: كان رسول الله ﷺ يخزن لسانه إلا فيما يعنيه، ويؤلفهم ولا ينفرهم، ويكرم كريم كل قوم، ويوليه عليهم، ويحذر الناس ويحترس منهم، من غير أن يطوى عن أحد منهم بِشْرَه ولا خلقه، ويتفقد أصحابه، ويسأل الناس عما فى الناس ويحسِّن الحسن ويقويه، ويقبِّح القبيح ويوهيه، معتدل الأمر غير مختلف، ولا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يملوا، لكل حال عنده عتاد لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه، الذين يلونه من الناس خيارهم أفضلهم عنده أعمهم نصيحة وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة.

جلوسه وقيامه ﷺ

– قال: (أى الحسين) فسألته (يعنى أباه) عن مجلسه، فقال: كان رسول الله ﷺ لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهى به المجلس، ويأمر بذلك، يعطى كل جلسائه بنصيبه، لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه، من جالسه أو فاوضه فى حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها، أو بميسور من القول، قد وسع الناس بسطه وخلقه، فصار لهم أبا، وصاروا عنده فى الحق سواء،

مجلسه مجلس علم وحياء وصبر وأمانة، لا تُرفع فيه الأصوات، ولا تؤبن فيه الحرم، ولا تثنى فلتاته، متعادلين، يتفاضلون فيه بالتقوى، متواضعين، يوقرون فيه الكبير، ويرحمون فيه الصغير، ويؤثرون ذا الحاجة، ويحفظون الغريب.

* * *

سيرته ﷺ في جلسائه

– قال (أى الحسين) وكيف كانت سيرته فى جلسائه؟ فقال: كان رسول الله ﷺ دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ،

ولا سخاب، ولا فحاش، ولا عياب، ولا مداح. يتغافل عما لا يشتهى، ولا يؤيس منه، ولا يخيب فيه مؤمله، قد ترك نفسه من ثلاث: المراء، والإكثار، وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: لا يذم أحدا، ولا يعيبه، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه، وإذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، وإذا سكت تكلموا، لا يتنازعون عنده الحديث، ومن تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم عنده حديث أولهم، يضحك لما يضحكون منه، ويتعجب مما

يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته، حتى إن كان أصحابه ليستجلبونهم، ويقول: إذا رأيتم طالب حاجة يطلبها فارفدوه، ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز، فيقطعه بنهي أو قيام. [الترمذي].

* * *

سكوته ﷺ

– قال (أي الحسين): فسألته (أي أبيه) عن سكوت رسول الله ﷺ فقال: كان سكوته على أربع: على الحلم، والحذر، والتقدير، والتفكر، فأما

التقدير ففى تسوية النظر، والاستماع من الناس، وأما تفكره، ففيما يبقى ويفنى، وجُمع له الحلم فى الصبر، ولا يغضبه شىء ولا يستفزه.

وجمع له الحذر فى أربع: أخذه بالحسن ليقتدى به، وتركه القبيح ليتناهى عنه، واجتهاده الرأى فى إصلاح أمته، والقيام لهم فيما جُمع لهم من خير الدنيا والآخرة.

* * *

تم الكتاب المبارك

الفهـرس

الموضوع	الصفحة